مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد 09 / العدد: 01 (2022) ص 30 – 50

التكامل المعرفي عند علماء الغرب الصحراوي، الفقيه محمد يحي الولاتي انموذجا

الحسين بوعسيريا[1]

[1]جامعة ابن زهر_ اكادير- المغرب

houcin.101980@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/11 تاريخ القبول: 25 /2021/12 تاريخ النشر: 2022/01/01

ملخص :

تناولت هذه الدراسة مسأله التكامل المعرفي عند الفقيه محمد يحى الولاتي، ودوره في خدمة العلوم الإسلامية في غرب الصحراء خاصة، والعالم الإسلامي عامة، مما يمكن اعتباره دليلا على فرادة وتميز علماء الصحراء عموما ،وحاضرة ولاتة خصوصا، في محاولة للوقوف على عبقرية الفقيه وسعة علمه، والكشف عن المنهج التكاملي عنده، من خلال تتبع بعض مؤلفاته.

الكلمات المفتاح : التكامل المعرفي _ الغرب الصحراوي _ محمد يحي الولاتي

Abstract :

This study dealt with the issue of the cognitive integration of the jurist Muhammad Yahya Al-Walati, and his role in the service of Islamic sciences in the western desert in particular, and the Islamic world in general, which can be considered as evidence of the uniqueness and excellence of desert scholars in general, and the present and the state in particular, in an attempt to identify the genius of the jurist and the breadth of his knowledge And revealing his integrative approach, by tracing some of his books.

المؤلف المرسل: الحسين بوعسيريا

الحسين بوعسيريا

مقدمة

الحمد الله رب العالمين ،والصلاة والسلام الأتمان الاكملان على محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد.

لقد عرف الغرب الصحراوي حركة علمية دؤوبة على جميع المستويات : اللغوية ،الأدبية ، والشرعية ، مما أبرز ثلة من العلماء الذين ذاع صيتهم داخل الصحراء وخارجها وعرف حقهم القاصي والداني من أمثال : المختار بن بونة الجكني، الحاج عبد الله بن إبراهيم العلوي، ، والمختار الكنتي الكبير، وغيرهم كثيرٍ ممن زخرت بهم قلاع العلم والمعرفة في ربوع غرب الصحراء، ولعل من أبرز تلك القلاع و أحد أهم مراكز الإشعاع العلمي والثقافي في العالم الإسلامي ، مدينة ولاتة، جوهرة الصحراء ،ومهد العلماء والصلحاء والتي كانت بحق منارة ثقافية وعلمية، وعاصمة من عواصم الفقه المالكي ومدرسة من مدارسه الكبرى بالصحراء، والتي أنجبت علماء أفذاذ وتخرج منها فقهاء أجلاء، حاز قصب السبق فيهم الفقيه الألمعي الموسوعي محمد يحيى الولاتي اللغوي الحاذق ،و الفقيه المتشبع بقواعد المالكية، والاصولي الذي بلغ رتبة الاجتهاد في المذهب، وتاتي هذه الدراسة كمحاولة للكشف عن المنهج التكاملي عند الفقيه محمد يحي الولاتي واخترت لها عنوان : "التكامل المعرفي عند علماء الغرب الصحراوي؛ الفقيه محمد يحيى الولاتي أنموذجا"

-إشكالية البحث:

تنطوي إشكالية البحث على سؤال جوهري ومشكلات فرعية؛ أما السؤال الجوهري؛ ما هي مظاهر التكامل المعرفي في منهج الفقيه الولاتي؟ وما هي السمات المنهجية التي تبرز عبقريته في استثمار وتوظيف معارفه المختلفة؟

وسأحاول الإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية من خلال الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

- ما المراد بالتكامل المعرفي؟
- من هو الفقيه محمد يحي الولاتي؟
- ما أهمية التكامل المعرفي ؟
- وما مظاهره في الفكر الإسلامي؟
- كيف استثمر الفقيه الولاتي معارفه بصورة تكاملية؟

-خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع و المادة العلمية أن يكون البحث وفق الخطة التالية:

تمهيد

المبحث الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات.

المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي.

المطلب الثاني: الغرب الصحراوي؛ الاسم والحدود.

المطلب الثالث: ترجمة الفقيه محمد يحي الولاتي.

المبحث الثاني: التكامل المعرفي عند الفقيه محمد يحي الولاتي ومظاهره.

المطلب الأول: أهمية التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: مظاهر التكامل المعرفي عند الولاتي.

خاتمة: تضم اهم النتائج المتوصل اليها.

-أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على جهود الفقيه محمد يحي الولاتي، ودوره في خدمة العلوم الإسلامية، ،وإظهار جوانب من موسوعيته وعبقريته ، ومظاهر التكامل المعرفي عنده .

-المنهج المتبع:

سلكت في إعداد في هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستقراء، حيث قمت بتتبع وتقصي نماذج من مؤلفات الفقيه الولاتي، ؛ للوقوف على أهم مناهجه البحثية واستخلاص أهم ملامحها. و بسط فكرة التكامل المعرفي ومظاهره عنده.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات.

قبل الدخول إلى صلب الموضوع يجدر بنا التعريف بمصطلحات البحث لتسهيل فهم مفرداته، فهي بمثابة المفاتيح التي يدخل من خلالها إلى صلب الموضوع.

- المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي.

"التكامل المعرفي" مركب وصفي يقتضي منا التعريف بـ شقيه : "التكامل"، و"المعرفي

أ-التكامل:

في اللغة العربية: التكامل مشتق من الفعل الثلاثي المجرد " كَمَ لَ" ،قال ابن منظور((كمل، الكمال: التمام، وقيل التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه... وأكملت الشيء: أي أجملْته وأتممته... وكمَّله: أتمَّه وجمَّله... وأكملت لكم: كفيتكم وأعطيتكم فوق ما تحتاجون)) [1]

التكامل من كَملَ،((التي تعني أتمَّ وجمَّل)) [2] تكاملت الأشياء : كمل بعضها بعضا بحيث لم تحتج إلى ما يكملها من خارجها، تكامل عمله: كان كاملا وتاما، وتكامل الشيء: كملَ شيئا فشيئا،وأصل الكلمة (كم ل): وهي من الكمال التمام وقد كمل يكمل بالضم كمال، وتكامل الشيء والتكميل والإكمال :الإتمام و

[1] ابن منظور: ابن منظور: لسان العرب، دط، دار المعارف، القاهرة، دت، ص3930

[2] القاموس المحيط ص1054.

استكمله استتمه، وتكامل الشيء كمل شيئا فشيئا، والأشياء كمل بعضها بعضا، والتكامل في عرف الاقتصاد: هو الجمع بين صناعات مختلفة يكمل بعضها بعضا وتتعاون في الوصول الى غرض واحد.[3]

قالتكامل في اللغة العربية: تحكمه اليات وضوابط وروابط، فهو اذا حركة تركيب وتنسيق مجموعة من العناصر، بمثابة أجزاء، يتخللها النقص إذا نظر إليها منفردة، وتعويض النقص يقتضي الاتصال بالأجزاء الأخرى،حتى تحفظ من الآفات وتحقق الاكتفاء، وهذا الاتصال يقتضي عمل تحكمه قوة وجهد واستمرار وتتابع.

ب -**المعرفي:** لغة من المعرقة ويعود أصل اشتقاقها إلى الفعل (عرف) عرف عرفانا ومعرفة، ورجل عروفة وعريف: أي عارف، وعرف : استحذى، وصبر، وهو عارف و عروف، والمعرفة هي: إدراك الشيء بتفكر و تدبر لأثره، وهو أخص من التعلم، ويضاده: الإنكار..[4]

واما المعرفة في الاصطلاح: فهي إدراك ما لصور الأشياء أو صفاتها أو سماتها وعلاماتها، أو للمعاني المجردة سواء أكان في غير الذهن وجود أم لا[5].

لأن المعرفة هي: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل، أو نسيان حاصل بعد العلم.

ج –مفهوم المصطلح المركب التكامل-المعرفي:

لقد تعددت دلالات هذا المفهوم كما تعددت سياقات استعماله. وقد حاول فتحي حسن ملكاوي إعطاء مفهوم شامل للتكامل المعرفي، وذلك بجمعه بين الحوض المعرفي المسلم والحوض المعرفي الغربي، ليخلص في الأخير الى صوغ

---

[3] ينظر مختار الصحاح، ص 273 ، والمعجم الوسيط 798/2 .

[4] ينظر المفردات في غريب القرآن،ص 560، و تاج العروس من جواهر القاموس ،133/24 .

[5] ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص 123 تأليف: عبد الرحمان حسن الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق،1414ه/1993م.

معادلة بين من خلالها مفهوم التكامل المعرفي فيما يلي:"وبعيدا عن الجدل في دلالة هذا المفهوم في الاستعمال الشائع، فإن الدلالة المقصودة في سياق حديثنا في هذا المقام، ترتبط بما أسميناه بمعادلة التكامل المعرفي، التي تعني التكامل في ثلاثة مستويات متضايفة متلازمة، هي التكامل بين مصدري المعرفة: الوجود والوحي؛ والتكامل بين أداتي المعرفة: العقل والحس، والتكامل بين المصادر والأدوات.

وقد ارتبط هذا المفهوم بالجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الوجود، أو قراءة الكتاب المسطور وقراءة الكتاب المنظور، وبصورة مباشرة نعني بالتكامل المعرفي، في سياق مشروع إسلامية المعرفة، أو الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر:

- امتلاك معرفة كافية بمبادئ الإسلام ومقاصده.
- ومنهجية مناسبة لتوظيف هذه المبادئ أو المقاصد
-وإعمال هذه المنهجية في فهم العلوم المعاصرة والتعامل معها.
- وبناء شخصية إسلامية معاصرة، تتصف بالتماسك والفاعلية.
- وتمكين الأمة من الإسهام المتميز في الحضارة الإنسانية وترشيدها بهداية الوحي الإلهي[6].

وفي الجملة فان التكامل المعرفي بين العلوم يحيل على معنى الإلمام الشامل والموسوعية والانفتاح على علوم متعددة بمقدار حاجة بعضها إلى بعض، في سبيل تطوير المعرفة الإنسانية.

فعند قولنا التكامل المعرفي عند فلان، نفهم من ذلك امرين:

- انه يلم بمجموعة من العلوم، وان كان إلمامه من باب الثقافة العامة وليس المتخصصة.

[6] فتحي حسن ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011م، ص291.

- أنه يمزج بين معارفه المختلفة في العلوم التي برز فيها بصورة تخدم هذه العلوم، فتجد شخصية عالم الحديث في مجال الفقه، ونجد شخصية عالم العقيدة في مجال الحديث، ونجد شخصية عالم اللغة العربية في مجال علم الكلام، .... وهكذا

ومن هنا يمكننا تعريف التكامل المعرفي كمصطلح حديث بأنه: الإلمام بعلوم متعددة في مقابل الاقتصار على الاختصاص الدقيق، وعموما يعني حاجة العلوم بعضها إلى بعض في نمو العلم وتقدمه من جهة، أو في تطبيقه وتوظيف مبادئه عمليا من جهة ثانية.

المطلب الثاني: الغرب الصحراوي؛ الاسم والحدود.[7].

لقد عُرفت هذه البلاد "الغرب الصحراوي" قديما بعدة تسميات، فكانت تسمى بـ: "صحراء الملثمين"؛ لأن أهلها كانوا أهل لثام. وبـ: "بلاد شنقيط" نسبة إلى مدينة شنقيط التاريخة في شمال موريتانيا التي تعني عيون الخيل، وهي في الأصل مدينة صغيرة نالت شرف تسمية البلاد بها لكونها مركز إشعاع علمي، ونقطة مواصلات في التجارة الصحراوية، ونقطة تجمع لركب الحجاج، وهو ما دعا المغتربين إلى الانتساب إليها . وإن لم يكونوا من أهلها . باعتبار أنهم من المنطقة التي تقع فيها.

ومن بين التسميات أيضا: "بلاد التكرور"، و عرفت أيضا ب"بلاد المغافرة" نسبة إلى القبائل المغفرية الحسانية المهاجرة من بلاد المشرق، والاسم الذي كان معروفا عند سكان المنطقة فهو : "تراب البيضان"، أي أرض البيض، وذلك تمييزا لها عن البلاد المجاورة لها مالي والسنغال، وهو الاسم الذي ورد في تقارير

[7] ينظر: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 422 .حياة موريتانيا "الجغرافيا"، المختار بن حامد، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، (ص: 8 . 10 .بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، ص: 18 . 25 .تاريخ بلاد شنقيطي، حماه الله ولد السالم، ص: 17 . 18 .موريتانيا عبر العصور، أسلم بن محمد الهادي، مطبعة الأطلس، (1 /9

المستطلعين الاستعماريين، وهناك أسماء نعتت بها أقل انتشارا كالبلاد السائبة (السيْبة) التي أطلقها عليها بعض العلماء ،كالعلامة سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي.[8]

وأما حدود الغرب الصحراوي فيمتد شمالا من منطقة الصحراء التي كانت خاضعة للاستعمار الاسباني جنوب المغرب(من واد نون الى الساقية الحمراء وواد الذهب) وجزءا من جنوب غربي الجزائر (إقليم تندوف) حيث مضارب قبلتي الركيبات[9] وتجاكنت[10]، وشرقا جزء من غرب وشمال مالي حيث مضارب مجموعات كنتة [11]والبرابيش[12] والعناصر العربية الأخرى، وغربا على امتداد الحيط الأطلسي وجنوبا الى حدود نهر السنغال.

وقد كان الغرب الصحراوي- قبل تشكل الحدود السياسية المعروفة اليوم - وحدة قائمة بذاتها حيث شكل فضاء ثقافيا موحدا له مقوماته الثقافية والاجتماعية المشتركة ، تقطنه القبائل البيضانية (**Maures**) يتكلمون العربية في مستوى من مستوياتها (اللهجة الحسانية) ويدينون بالإسلام على مذهب الامام

---

[8] سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم أحد أبرز فقهاء البلاد وأصولها المشهورين درس في فاس وزار مصر والحجاز. ترك العديد من المؤلفات في مجالات متعددة. راجع: محمد فال ولد بابه، كتاب التكملة في تاريخ امارتي البراكنة والترارزة ، ص:55

[9] مجموعة قبلية تنتسب الى سيد احمد الركيبي وتنتشر بطونها في مناطق ادرار وتيرس وفي الجنوب الجزائري والمغربي.راجع:المختار بن حامد، موسوعة حياة موريتانيا الجزء 3 ص65.

[10] إحدى قبائل الزوايا، جمعت بين السيف والقلم لها نفوذ اقتصادي و علمي مهم، وهي منتشرة في مختلف أنحاء البلاد الموريتانية وبعض البلدان المجاورة راجع الشيخ محمد المامي، نصوص منالتاريخ الموريتاني (شيم الزوايا-أمر الولي ناصر الدين رسالة النصيحة)، تقديم وتحقيق محمدن ولدباياه، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، قرطاج، 1990، 224، ص136

[11] قبيلة موريتانية ترفع نسبها إلى عقبة بن نافع وهي تنتشر في مختلف أنحاء البلاد الموريتانية وكذلك في العديد من بلدان المنطقة راجع المختار بن حامد، موسوعة حياة موريتانيا، جزء كنته، مرقون، المعهد الموريتاني للبحثالعلمي، نواكشوط

[12] قبيلة ينتسب بعض بطونها إلى حمو بن حسان، وهم من طلائع المجموعات الحسانية فدوما إلى المنطقة ،ويتمركزون خاصة في منطقة أزواد وما جاورها ،راجع صالح بن عبد الرهاب، الحسوة البيسانية في معرفة الأنساب الحسانية، ص 4 ،الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، الرسالة الغلاوية مخطوط نسخة المعهد المور يتاني للبحث العلمي، رقم 1273، نواكشوط .

مالك بروايته القاسمية، ويشتركون في مجموعة من العادات والتقاليد والقيم، وقبل ذلك النسب والتاريخ.

المطلب الثالث: الفقيه محمد يحي الولاتي الموطن والنشأة

1-ولاتة[13]

ولاتة مدينة تاريخية مشهورة، تقع في الجنوب الشرقي من موريتانيا، أهلها كلهم عرب، عرفوا باهتمامهم بالعلم وقيامهم بالخطط الدينية من إفتاء وقضاء

.يعود تاريخ هذه المدينة إلى حقبة متقدمة جدا من الزمن،. عُرفت ولاتة قديما بعدة تسميات؛ فسميت بيرو" عندما كانت خاضعة لإمبراطورية ِ "غانا. ثم تغير إلى: "إيولاتن"، أو "ولاتن"، وهي أسماء صنهاجية. وبعدها استقرت تسمية المدينة على "ولاتة"، التي يرى بعض الباحثين الموريتانيين بأنها النطق العربي للاسم الصنهاجي "إيولاتن"، الذي يعني . بلغة صنهاجة . سفح الجبل

.اشتهرت ولاتة بالثقافة، وأخذت حركة العلم تتنامى فيها بوفود العلماء وطلبة العلم عليها من مختلف البقاع، وذلك بعد أن أفلت شمس العلم في شقيقتها تمبكتوالتابعة لمالي حاليا، بسبب ما أصابها من النكبات التي أوهت قواها الثقافية .

وقد كانت مجمعا لركب حجاج أهل البلاد كلها، قبل أن يتحول إلى مدينة شنقيط في أواخر القرن الثالث عشر الهجري .ولأجل مكانة ولاتة العلمية وكونها مجمعا لركب الحاج الموريتاني سابقا أصبح البعض . في ذلك الوقت . ينسب البلاد إليها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه، كما أشار إلى ذلك بعضهم بقولهـ:

[13] ينظر: الوسيط لابن الأمين، (ص: 459).بلاد شنقيط للخليل النحوي، (ص: 21 ،68 . 69) .تاريخ بلاد شنقيطي لحماه الله ولد السالم، (ص: 179 . 180 ،200 . 201).ولاتة من الحاضر إلى الماضي، سداتي بن بابيه، ص: 18 . 20

(وربما روعيت مكانة ولاتة كقاعدة ثقافية حضارية عريقة فعُطفت على شنقيط، ونسبت إليها البلاد[14]

2- الفقيه محمد يحي الولاتي:

أ-اسمه ونسبه:

هو محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله، كما صرح هو في الكثير من مؤلفاته نظما ونثرا فمن النظم قوله في نظمه للناسخ والمنسوخ من القران :

يقول راجي ربه محمد يحيى لربه الكريم يحمد[15]

وقوله في نظمه للقواعد الفقهية:

يقول من محمد يحيى سماه محمد المختار من يدعى اباه[16]

ومن النثر قوله: (أما بعد: فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، الغني به عمن سواه، محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله) [17]

يرتفع نسبه رحمه الله . إلى الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقبل ذلك إلى قبيلة أولاد داود بن اعروك المنحدرة من بني حسان، وقد صرح .بنسبه هذا في بعض كتبه فقال بعد أن ذكر اسمه: (... الداودي ثم الجعفري نسبا) [18]

اشتهر الولاتي داخل بلدته بل وحتى خارجها . بلقب "الفقيهه" [19] لتمكنه وتبحره في الفقه خصوصا، وفي علوم الشريعة عموما. وقد اختص بهذا اللقب حتى صار إذا أطلق في بلدته لا ينصرف إلا إليه.

---

[14] بلاد شنقيط للخليل النحوي، (ص: 21)

[15] الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، الفقيه الولاتي،

[16] الدليل الماهر الناصح للفقيه الولاتي، (ص: 11

[17] ينظر: مقدمة كتابه:شرح منح الفعال،ص:11،

[18] الرحلة الحجازية للفقيه الولاتي، ص: 209

[19] ينظر:. مقدمة حسني الفقيه للعروة الوثقى للولاتي، (1 /9.

ب-مولده ونشأته ووفاته:

ولد الفقيه الولاتي بقرية ولاته العريقة ،سنة : (1259هـ) الموافقة لـ: (1843م) على ارجح الاقوال[20] ،نشأ الولاتي وسط أسرة عربية شريفة، تميزت بالعلم والنباهة، فأجداده كانوا علماء ذوي شهرة في بلده. وفي كنف هذه الأسرة نال الولاتي حظه من التربية والتعليم في سن مبكرة. وبعد وفاة والده حرصت امه على تنشئته تنشئة علمية، فتعلم في محاضر ولاتة ، ومع صغر سنه واشتغاله بالطلب في المحضرة، فقد كان على قدر كبير من الشعور بالمسؤولية تجاه أمه وإخوته اليتامى؛ فامتهن نسخ الكتب مقابل أجرة تعينه وأمه على إدارة شؤون الأسرة، وهذا ما أسهم في تنمية ملكته العلمية، وصقل قدراته الذهنية، وتوسيع دائرة ثقافته وحدود اطلاعه وفي وسط هذا الجو العلمي، وكنف تلك الأسرة الرحيمة، نشأ الولاتي . رحمه الله . متحملا لمسؤوليات أسرته، ومحبا للعلم، ومخلصا في طلبه، ومبجلا لأهله.[21]

ولما سطع نجم الولاتي . رحمه الله . واشتد عوده، اختاره أصحاب الحل والعقد لتولي منصب القضاء، وذلك قبل خروجه إلى بيت الله الحرام، فقبل واشترط عليهم تنفيذ الأحكام التي يصدرها ولو بالقتل، فقبلوا بذلك، وكانوا له أوفياء، فنالوا رضاه ونال رضاهم[22]

توفي . رحمه الله . شهر رمضان، وقيل في أواخر شعبان، من سنة:(1330هـ)، الموافقة لـ:(1912م).ـ وقد أرخ لوفاته بهذه السنة تلميذه سيداتي ، فقال مُرمزا بالحروف الأبجدية:

---

[20] ينظر:. بلاد شنقيط للخليل النحوي، (ص: 529

[21] ينظر: الرحلة الحجازية للفقيه الولاتي، (ص: 157). مقدمة بابا محمد عبد الله لنيل السول، (ص:3). مقدمة تحقيق حسني الفقيه للعروة الوثقى، (10/1 . 11

[22] ينظر:. مقدمة ابّ بن محمد للدليل الماهر الناصح، (ص: 7)من أبرز علماء شنقيط، محمد عبد الله ولد المصطف، إدارة الثقافة والفنون بوزارة الثقافة والشباب والرياضة بموريتانيا، (ص: 23.).

ف:" بِشِرْكِ حَقٌّ" كان تاريخ موته تأمل تجد سرا هناك مجذرا[23]

فقوله : (بشرك حق)، ترميز لسنة: (1330هـ)؛ لأن الباء باثنين، والشين بألف، والراء بمائتين، والكاف بعشرين، والحاء بثمانية، والقاف بمائة.

المبحث الثاني: التكامل المعرفي عند الفقيه محمد يحيى الولاتي ومظاهره.

المطلب الأول: أهمية التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي.

لا يمكن للباحث اليوم أن ينكر ظاهرة التكامل المعرفي بين العلوم التي تنامت، وكثر الحديث عنها في آلاونة الأخيرة ، ولا شك أن المعرفة إلاسلامية تأسست على التداخل، والتكامل بين معارفها ، حيث كان تكامل العلوم و المعارف وانسجامها حاضرا وراسخا عند المحققين من علماء الإسلام في عصور الاجتهاد والازدهار العلمي من تاريخ الإسلام، في صورة تفاعلية متداخلة مبنية على أسس متينة في النظر، واليات متحركة متجددة في الاستدلال، في بناء نسقي شامخ من التكامل والتفاعل بين الفروع العلمية المتباينة ،مما أثمر نهضة علمية وحركة فكرية قوية ألقت بظلالها على حياة المجتمعات.

ولكن سرعان ما تلاشت عرى ذلك التكامل ،خصوصا بعد أفول عصور الاجتهاد والتجديد، فجنح القوم الى التقليد، وهيمن سلطان التخصص الذي فرضته مقتضيات العصر، حتى صار كل ذي تخصص يحسب انه حاز العلم وجمعه، فهو الأصل وغيره الفرع ،فهمشت علوم أو قلل من شأنها ،وأسقطت أخرى من صنافات العلوم الإسلامية المتكاملة، والنتيجة انفصال وانفصام نكد بين التخصصات الشرعية نفسها، وبينها وبين باقي العلوم.

وإذا كان من حاجات الناس المتجددة، إدراك التكامل بين الروح والجسد والفكر، وبين الشرع والعقل والوجدان، وبين العقيدة والفقه والتصوف وغير ذلك، فإن من حاجة الباحثين إدراك منهجية التكامل المعرفي في النظر إلى العلوم

[23] ينظر: المعسول للسوسي، 287/8.

الشرعية لما تختزنه من آليات لاستمداد المعرفة من الوحي والعالم بواسطة العقل والحس، وما تتضمنه من قواعد ترشد التعامل التراث الإسلامي والإنساني ومع الواقع، فتتيح بذلك آفاقا لإصلاح وتحديد الفكر الإسلامي.

ولما كانت العلوم الشرعية كغيرها من العلوم الأخرى لم تكن بمعزل عما عرفته من إشكاليات التأسيس النظري، أو التحولات المقاهيمية لحدودها المعرفية، أو التساؤلات المرجعية المؤسسة لبنائها المنهجي، كل ذلك يستلزم من الباحث في مقاربته أن يكون ملماً بظاهرة التكامل المعرفي بينها، وبين الدراسات الأخرى، إذ لا يمكن فهمها إلا بالاستعانة بعدة علوم تتعاون، وتتكامل فيما بينها لتوضيح مضامينها .ومكنوناتها، وفك مغاليقها، وإدراك معانيها، فكانت علاقة تكاملية لا انفصام فيها حتى أصبح لا يمكن أن تتصور وجود أحدهما بغياب الأخر لتحقيق رؤية شمولية، وعميقة، وتطوير آليات التكامل المعرفي بينها.

ونظرا لحاجة العلوم الشرعية للعلوم الأخرى وتشعب علومها وتطورها وتنوع قضاياها يجعل التماهي بينهما ضرورة ملحة فإنه ليس من المقبول الفصل بينهما لاخراج المعرفة من التجزئة(التخصص) الى التكامل والتداخل

ولذلك فقد كان هذا الطابع المنهجي الشمولي محط اهتمام كثير من رواد الفكر الإصلاحي[24]، في مختلف اقطار الوطن الإسلامي حيث أدرك هؤلاء، ومن جاء بعدهم من رواد الفكر الإسلامي، أنه يستحيل إحداث تغيير حقيقي وإصلاح فعلي للوضع المأزوم إلا من خلال التفعيل المنسق لكل العلوم الإسلامية، والاستحضار الكلي لآلياتها المعرفية والمنهجية، فتحقيق فعل حضاري نهضوي حقيقي يتوقف على مبدأ التكامل المعرفي الشامل، ومن هنا بدأت تطرح فكرة التكامل المعرفي على أنها السبيل المنهجي الأنجع في التفكير والنظر لمعالجة الإشكاليات المستجدة التي أفرزها الوضع التاريخي الاجتماعي الجديد.

[24] أمثال: جمال الدين الافغاني، محمد عبده،عبد الحميد بن باديس،وغيرهم.

المطلب الثاني: مظاهر التكامل المعرفي عند الولاتي.

يعتبر الفقيه محمد يحي الولاتي أحد ابرز العلماء الفطاحلة الذين أنجبهم هذا القطر القصي من الصحراء، فكان عالما موسوعيا ، حيث تعددت علومه ومعارفه . فكان عالما في الفقه، والأصول، والحديث، واللغة العربية وعلومها، ومشاركا في علوم القرآن، وكذا التاريخ. ويشهد لهذه المكانة العلمية ثناء أهل العلم والأدب عليه،وصفه معاصره محمد حبيب الله بن مايابى الشنقيطي بأنه: (البحر الزاخر، ذو المآثر الجميلة والمفاخر، إمام العلم وحامل لوائه، وحافظ علم الأصول وكوكب سمائه) [25].

ووصفه بعض من التقى به من أهل العلم بتونس قائلا: (اجتمعت به وتطارحنا بعدة مسائل من عدة فنون؛ فوجدناه كثير الاطلاع وحفظ المسائل، لا سيما علم الحديث، والفقه، والأصول؛ فإن جميعها عنده على طرف التمام) [26]

وكان مما رثاه به تلميذه سيداتي بعد موته:

محمد يحي شيخنا حيِيَتْ به علوم وماتت حينما كان مقبرا
بكى الفقه والاصلان والنحو فقده وتفسير آيِ والحديثُ وما جرى
وما للبيان من بيان وراءه وعلم المعاني معه معناه أقبرا [27]

لقد كان محمد يحي الولاتي .رحمه الله . شخصية موسوعية، وعبقرية مستقلة، متعددة الجوانب والاختصاصات. وقد تجسدت هذه الموسوعية في آثاره العلمية المتنوعة، وتجلت عبقريته في استخدامه لمعارفه المختلفة وانسجام ارائه واختياراته، وإهتمامه بمشاكل مجتمعه وإسهامه في معالجتها، وقد كان حريصا على الارتقاء بأبناء أمته من حضيض البدعة إلى سمو العقيدة الصحيحة، ومن متاهات الخرافة إلى مناهج العقل الواضحة، ومن جمود الفقهاء إلى روح

[25] مقدمة محمد حبيب الله بن مايابي لفتح الودود ونيل السول،(ص:1)
[26] حسام العدل والإنصاف القاطع لكل مبتدع باتباع الأعراف للفقيه الولاتي، (ق: 1).
[27] ينظر: المعسول للسوسي (287/8

الشريعة، ومن دروشة الفقراء إلى التصوف السني القائم على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والفهم السليم لهما.

وسأحاول هنا ان أبرز مظاهر التكامل المعرفي عند الفقيه الولاتي، وذلك من خلال تتبع كتاباته في العلوم المختلفة، وملاحظة مدى امتزاج هذه العلوم عنده، ومدى استخدامه لمعارفه المختلفة في خدمة العلوم بعضها لبعض.

1-من حيث إلمامه بعلوم مختلفة.

إن الذي يحوم في سماء حياة الشيخ العلمية سيظهر له هذا الإلمام والموسوعية جليا من خلال ماحبرته يراع هذا الحبر في شتى العلوم والمعارف من مؤلفات وتصانيف تجاوزت المائة، حتى رثاه ابنه بأبيات -وهي مكتوبة على قبره- قائلا:

هـذا ضريـح مـن بـه ... عِلـم الشريعـةَ انتشـرْ

فقهـــا ومعقـــولا ... وكتابـــا وأثـرْ

ألف في حياتـــه ... مائة سفر وعشـرْ

وهذه بعض تصانيفه في العلوم التي برز فيها والتي تظهر مدى إلمامه وموسوعيته:

أ-الفقه:

ما استحق الولاتي لقب "الفقيه" الذي سار خاصا به في بلده إلا لتبحره ، وتمكنه وعلو كعبه في الفقه،وآثاره الفقهية من كتب ومؤلفات- منها المنثور والمنظوم، والمطبوع والمخطوط- شاهدة على ذلك،ناهيك عن الفتاوى والاجوبة التي كان يصدرها كل حين، ومن هذه المصنفات في الفقه:

- العروة الوثقى شرح منبع الحق والتقى.
- منبع الحق والتقى الهادي إلى سنة النبي المنتقى.
- فاتق رتق الغامض من علم الفرائض.

- أحكام زكاة الأوقاف والاحباس.
- حسام العدل في إبطال شهادة رؤية النار وسماع صوت المدافع وخبر التلغراف.
- منهج الأبرار في رد حكم من حكم باسترقاق الأحرار، مخطوط.
- الجواب المسكت المبين عن اعتراضات محمد الأمين مخطوط.
- الفتح الإلهي الفائض على فاتق رتق الغامض مخطوط.
- كتاب الأطعمة والأشربة، مخطوط.
- النصح لعرفاء الزوايا عن الحيف في فض المداراة على أموال ضعفاء الرعايا. مخطوط.

هذا بالإضافة الى كثير من الفتاوى والاجوبة في أبواب الفقه المختلفة.

ب- أصول الفقه وقواعده:

لقد كان الفقيه الولاتي رحمه الله بارعا فى علم الأصول، مهتما بتحريره أيما اهتمام، وكتبه شاهدة على ذلك، فقد خلف فيه حوالي عشرة كتب ما بين شرح، ـ واختصار، وتأليف مستقل،وهذا بعض منها:

- إيصال السالك إلى أصول الإمام مالك.
- بلوغ السول وحصول المأمول على مرتقى الوصول. مطبوع باسم «نيل السول.«
- توضيح المشكلات في اختصار الموافقات.
- مختصر أصول البزدوي.
- الدليل الماهر الناصح شرح نظم المجاز الواضح على قواعد المذهب الراجح.
- شرح ـ منح الفعال في نظم ورقات أبي المعالي.
- فتح الودود على مراقي السعود.
- المجاز الواضح في قواعد المذهب الراجح. و شرحه الدليل الماهر الناصح.

- حسام العدل والإنصاف القاطع لكل مبتدع باتباع الأعراف.

ج- اللغة العربية وعلومها:

- مرتع الجنان على عقود الجمان في علم البيان.
- المواهب التليدة في حل ألفاظ الفريدة.
- شرح الآجرومية.
- نظم الآجرومية.
- شرح منظومة الغلاوي في البيان.
- شرح منظومته في التصريف

د- الحديث وعلومه:

- اختصار موطأ الإمام مالك.
- مهيع الرشد والصواب لمعرفة مصطلح حديث النبي الأواب.
- سلم الفقه والدراية على جمع النهاية في بدء الخير وغاية.
- نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح.

وله مؤلفات أخرى في فنون مختلفة كعلوم القران والرقائق والتصوف والتاريخ والسيرة يطول المقام بذكرها في هذا المقال.

2- من حيث استخدامه لمعارفه المختلفة.

ان المطلع على مؤلفات الفقيه الولاتي يرى أنه لم يفصل بين معارفه نظرا لخوضه في علوم كثيرة، بل كان يزاوج بينها في مولفاته، فتجده في المؤلف الواحد يجمع بين عدة معارف وعلوم، فمثلا في كتابه"الرحلة الحجازية" الذي جمع فيه بين الفقه والتصوف ، وعلم الكلام ، وأصول الفقه واللغة والتفسير.

كما تميز منهجه بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، والمواءمة بين الاجتهاد الاستنباطي والاجتهاد التنزيلي، والمزاوجة بين النظرية والتطبيق والذي يظهر بوضوح في حرصه على ربط البحث الأصولي بمختلف الوقائع الجزئية المكونة لنسيج الواقع. فكثيرا

ما كان يفرع ويمثل للمسائل الأصولية بقضايا تمثل صميم الواقع الذي كان مهيمنا على عصره، نابعة من حياة الناس العامة، ومستمدة من واقعهم المعيش، ففي مقدمة كتابه «حسام العدل والإنصاف القاطع لكل مبتدع باتباع الأعراف» ذكر بأن الباعث على تأليفه لهذا الكتاب هو الواقع المؤلم الذي وئدت فيه مظاهر الحق، وهيمنت عليه الأعراف،[28] ولقد

[2828] ينظر: حسام العدل والإنصاف للفقيه الولاتي، (ق: 2/أ)

كان تمكنه من اللغة والبيان ظاهرا وحاضرا في مؤلفاته من خلال أسلوبه الواضح السلس ، مزاوجا بين المادة العلمية المؤصلة من جهة وفصاحة اللغة من جهة أخرى، ـ خاصة في مقدمات كتبه بطريقة مسجوعة بديعة،بأسلوب و ببراعة استهلال، فريدة، لا يرقى إليه إلا من امتلك زمام البلاغة، وتقلد وسام الفصاحة.والبيان

خاتمة:

تم التوصل من خلال هذه الدراسة الجملة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

- ✓ التكامل المعرفي مصطلح قديم المضمون حديث النشأة.
- ✓ التكامل المعرفي يؤكد حاجة العلوم إلى بعضها البعض من أجل نمو العلم وتقدمه من جهة، أو تطبيقه وتوظيف مبادئه عمليا من جهة ثانية.
- ✓ التكامل المعرفي ضرورة من ضرورات العلم تقتضيها الظرفية التي تعيشها الامة.
- ✓ تربُع الفقيه الولاتي . رحمه الله . على مكانة علمية عالية، شهدت بها مؤلفاته التي غطت معظم الفنون، وكذا ثناء أهل العلم عليه، وآراؤه، وعلومه ومعارفه.
- ✓ تبرز مظاهر التكامل المعرفي عند الفقيه الولاتي من خلال إلمامه بعدة علوم مع القدرة على توظيفه لمعارفه المختلفة.
- ✓ دعوة الباحثين لإثراء هذا الموضوع كونه من المواضيع المستجدة.

قائمة المصادر و المراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر دار الدعوة د ت.
- إبن منظور،لسان العرب،ط:دار المعارف،القاهرة،دت.
- بن حامد ، المختار ،حياة موريتانيا "الجغرافيا" ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، أشرفت على طبعه دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1414هـ . 1994م).
- السوسي محمد المختار ، المعسول، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، (1382هـ . 1962م.(
- الشنقيطي ، أحمد بن الأمين ،الوسيط في تراجم أدباء شنقط ، مطبعة المدني، مصر، ط: 1409،4هـ . 1989م.
- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1 ،المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م.
- عبد الوهاب محمد صالح ،الحسوة البيسانية في علم أنساب الحسانية،مخطوط ، نسخة بمكتبة حفيد الولاتي الأستاذ حسني الفقيه بانواكشوط.
- الكنتي سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار ، الرسالة الغلاوية مخطوط نسخة المعهد المور يتاني للبحث العلمي، رقم 1273، نواكشوط .
- المامي الشيخ محمد ، نصوص من التاريخ الموريتاني ،تقديم وتحقيق محمدن ولدباياه، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، قرطاج، 1990، 224، ص136
- ملكاوي فتحي حسن: منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، و م أ، 2011م.
- الميداني عبد الرحمان حسن ،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ، الناشر: دار القلم، دمشق،1414هـ/1993م.
- النحوي ، الخليل، بلاد شنقط المنارة والرباط ، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (1987م).

- الولاتي محمد يحي، الدليل الماهر الناصح شرح نظم المجاز الواضح على قواعد المذهب الراجح، ، تقديم: ـ اب بن محمد، مكتبة الولاتي لإحياء التراث الإسلامي، انواكشوط، (1427هـ. 2006م).
- الولاتي محمد يحي، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: شيخنا بشير بن انديده، رسالة ماجستير، أشرف عليها الدكتور عبد السلام محمود أبو ناجي، نوقشت بكلية الدعوة الإسلامية بليبيا، خلال السنة الجامعية: (1427هـ. 1997م)
- الولاتي محمد يحي، نيل السول على مرتقى الوصول، قام بتصحيحه وتدقيقه ومراجعته حفيده: بابا محمد عبد الله، دار عالم الكتب، الرياض، (1412هـ. 1992م
- الولاتي محمد يحي،الرحلة الحجازية، تخريج وتعليق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط: 2) ،2009م.(
- الولاتي محمد يحي،إيصال السالك إلى أصول الإمام مالك، اعتنى به: قندوز محمد ماحي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 1) ،1431هـ. 2010م.(
- الولاتي محمد يحي،حسام العدل والإنصاف القاطع لكل مبتدع باتباع الأعراف، مخطوط،نسخة دار الكتب الوطنية بتونس، رقمها: (17986.
- الولاتي محمد يحي،شرح منح الفعال، أعده ونشره: محمد محفوظ بن أحمد، طبع في الإمارات العربية المتحدة بترخيص من وزارة الإعلام والثقافة، ط: 01) ،1422هـ. 2001م
- ولد السالم ، حماه الله ، تاريخ بلاد شنقيطي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1 ، 2010)م